القصة الثالثة:

البطلُ المجاهدُ

الولد الصغير

كانَ الولدُ الصغيرُ عبدُ الرحمنِ عبداً من عبادِ اللهِ!

وكانَ الجميعُ ينادونَهُ (بطّـال)![1]

كانَ محبوباً جداً، وكانَ هو نفسُهُ لا يستغربُ اسْمَهُ!

رأسهُ كبيرٌ، يتميزُ منْ بينِ أصدقائِهِ في اللعبِ بقبضتيهِ اللتينِ تشبهانِ كرة من العجين!

وكانَ يهزمُ الجميعَ في كلِّ لعبةٍ، وبالأخصِّ في لعبةِ المصارعَةِ والسيفِ!!

كانَ عبدُ الرحمنِ في الخامسةِ منْ عمرِهِ عندما حملَهُ أبوه إلى إمامِ المسجدِ في الحيِّ الشيخِ خيرِ الدينِ، وقالَ لهُ:

اللحمُ لكَ، والعظمُ لي! ومعنى هذا الكلامِ: أدِّبْهُ، وعَلِّمْهُ، وَاجْعَلْهُ رَجُلاً!

---

(١) اشتهرت هذه الشخصية في الأدب التركي الشعبي باسم (سيد بطّال) ويعني السيد البطل. وهذا من التحريف الذي يصيب الكلمة العربية إذا انتقلت إلى لغة غير عربية.

عبد الرحمن المُؤَدِّب

في يومٍ منَ الأيامِ تشاجرَ عبدُ الرحمنِ مع تلاميذِ المدرسةِ!

وقفَ أمامَ الشيخِ باعتبارِهِ مذنباً كثيرَ الحركةِ! ولكنهُ دافعَ عن نفسهِ قائلاً:

يا شـيـخي! هؤلاءِ الأولادُ يضـعـونَ أجـزاءَ (الألِفِ باءْ) على الأرضِ، ويلعبونَ.

فقلتُ لهم: لا ترتكبوا ذنباً! فاستهزؤوا بي. وأنا أرغمتهُمْ مثلما أنتَ تُرْغِمُنَا!

قالَ الشيخُ: كيفَ أرغمتهمْ ؟

قالَ عبدُ الرحمنِ: لأني ليسَ لي عصا، أَرْغمتهُمْ بِقبضتي!

ضحكَ الشيخُ متعجباً، وسألهُ عَنِ اسْمِهِ!

كانَ سيقولُ: عبدُ الرحمنِ، ولكنْ قبلَ أن يكملَ نَصْفَهُ قاطعهُ الأولادُ الآخرونَ قائلينَ:

بَطَّـالٌ.. بَطَّـالٌ!!

قال الشيخُ: ماذا يعني ؟ فسكتَ بَطَّالٌ!

قالَ الشيخُ: بَطَّالٌ يعني أنهُ بَطَلٌ! وأنتَ كنْ بطلاً يا وَلَدُ! وعفا عنهُ الشيخُ.

الولد الشجاع

بقيتْ كلمةُ الشيخِ ترنُّ في أُذُنِ بطَّالٍ حتى بلغَ الثالثةَ عشرةَ من عمرِهِ!

كانَ أبوهُ قدْ قالَ له: دعاءُ الشيخِ يستجابُ،

وكانَ الشيخُ قدْ قالَ: تكونُ بطلاً إنْ شاءَ اللهُ!.

قرأَ بطالٌ وتعلمَ كثيراً، لكنَّ خيالَ البطولةِ كانَ في رأسهِ دائماً!

في الثالثةَ عشرةَ من عمرِهِ كانَ مع أبيهِ عندما تصدَّى لقطاعِ الطرقِ الذينَ هاجموا قريتَهُمْ. فأمسكَ أحدَهُمْ بشِراكِ الحبلِ!

الفتى المجاهد

وفي الخامسةَ عشرةَ من عمرِهِ سمعَ أنَّ خليفةَ المسلمينَ الذي يدافعُ عنِ الدينِ يقيِّدُ في الجيشِ أسماءَ الشبابِ!

قيَّدَ بطَّالٌ اسْمَهُ في الجيشِ بموافقةِ أسرتهِ.

في البدايةِ صارَ جندياً عادياً!

ثم علَتْ رتبتهُ. وكلما كبرَ ازدادَ خبرةً ومعرفةً!!

ويوماً ما عُيِّنَ قائداً لوحدةِ قوةِ الضرباتِ السريعةِ التي تتجهُ إلى بيزنطةَ، ذاعَ خبرُهُ في كلِّ اتجاهٍ!

كانَ يحاربُ أمامَ الجنودِ، ولا يصابُ بجرحٍ، حتى صارَ يعدُّ إنساناً غيرَ عاديٍّ!

وفي الحقيقةِ كانَ صاحبَ قدراتٍ عاليةٍ، وبالأخصِّ أنهُ مؤمنٌ بالآخرةِ، ولا يهابُ الموتَ!!

كانَ يعرفُ فنَّ الحربِ، ويحاربُ بإتقانٍ، وكانَتْ شجاعَتُهُ تُرْهِبُ العدوَّ.

بطال الأسير

في حربِ بيزنطةَ التي دامتْ أربعينَ يوماً، وفُتِحَتْ فيها اثنتا عشرةَ قلعةً، كانَ بطالٌ قد جُرِحَ وأُخِذَ أسيراً. أُحْضِرَ إلى (إستانبول) التي كانتْ تسمى (القسطنطينيةَ)، وَوُضِعَ في زَنْزَانةٍ!

في اليومِ التالي لم يجدْهُ البيزنطيُّونَ في مكانِهِ، فقالوا:

طارَ بَطَّالٌ!. وذاعَ هذا الصيتُ في بيزنطةَ.

إذا قيلَ بطَّالٌ فهو محاربٌ مسلمٌ، يطيرُ! ينسلُ من الثقبِ! يصلُ حيثُ يريدُ في لحظةٍ!

عُرِفَ بطَّالٌ بينَ البيزنطيينَ بهذهِ الصفاتِ.

نساءُ بيزنطةَ كُنَّ إذا أردْنَ إسكاتَ أولادهنَّ يقلْنَ لهمْ: بَطَّالٌ يَأْتي.. بَطَّالٌ يَأْتي! فيخافُ الأولادُ ويسكتونَ عنِ البكاءِ!

في إحدى الليالي أخرجتِ امْرأةٌ بيزنطيةٌ طفلَها خارجَ البيتِ منْ أجلِ أن تسكتَهُ، وقالتْ: تعالَ يا بطَّالُ! تعالَ وخذْ هذا الوَلَدَ!!

كانَ بطَّالُ مختبئاً هناكَ قريباً من البيتِ، وسمعَ كلامَ الأمِّ، فقالَ: هاتِيه.

وأخذَ الطفلَ، ثمَّ أعادَ الطِّفْلَ الذي سكتَ إلى أمهِ ثانيةً!!

وهكذا تجوَّلَ في إستانبولَ متنكراً أربعينَ يوماً.

خوف البيزنطيين من بطّال

كانتْ قلوبُ البيزنطيينَ جميعاً قلقةً جداً، لأنهمْ لمْ يستطيعوا إلقاءَ القبضِ على بَطَّالٍ الذي كانَ يغيِّرُ هيئتهُ متنكراً، ويتجولُ في ساحاتِ إستانبولَ وشوارعِها.

بطَّالٌ كانَ ينتظرُ الوقتَ المناسبَ للخروجِ من الأسوارِ.

وفي هذهِ الفترةِ اطلعَ بطَّالٌ على أحوالِ بيزنطةَ الداخليةِ وأسرارِها.

في إحدى الليالي هربَ من قناة للماءِ في جهةِ الخليجِ!

قفزَ بطَّالٌ في البحرِ قائلاً: اللهُ أَكْبَرُ!!

الجيشُ البيزنطيُّ أخذَ استعدادهُ، فقد عرفَ بطَّالاً من صوتهِ!.

وصلَ بطَّالٌ وهو يسبحُ إلى زورقٍ، فصعدَ عليهِ، وألقى بصاحبهِ في البحرِ، وساقَ الزورقَ.

لما وصلَ إلى فمِ الخليجِ اشتبكَ مع الجنودِ البيزنطيين في معركةٍ صعبةٍ بالسيفِ!

في النهايةِ قُبِضَ عليهِ بواحدٍ من مئاتِ شراكِ الحبالِ التي ألقيتْ عليهِ، ورُمِيَ في السجنِ منْ جديدٍ.

هذه المرةَ بقيَ في السجنِ أربعينَ يوماً!!

إسلام حارس السجن

أدى صلاتَهُ بالتيممِ، وعلَّمَ حارسَ السجنِ الإسلامَ! فأسلمَ حارسُ السجنِ ناطقاً بكلمةِ التوحيدِ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ.

أخرجَ الحارسُ بطَّالاً من السجنِ عن طريقِ بابٍ سريٍّ، وبوساطةِ قاربٍ اجتازا إلى الأناضولِ، وهناكَ ربطَ بطَّالٌ يديْ حارسِ السجنِ ورجليهِ، وذهبَ هو نحوَ الجيشِ المسلمِ.

لم يفشِ الحارس السرَّ لمنْ وصلَ إليهِ منَ البيزنطيينَ، وقالَ لهمْ: إنَّ هذا المحاربَ المسلمَ العجيبَ قد فرَّ بهِ بوساطةِ السِّحرِ!! فجعلوهُ حارسَ السجنِ ثانيةً، ولم يُحسُّوا بإسلامِهِ!!

بطال يعود إلى القتال

لما وصلَ بطَّالٌ عندَ قائدِ الجيشِ المسلمِ أخذَ مئةَ محاربٍ وعادَ إلى بيزنطةَ من جديدٍ.

فتحَ عشرَ قلاعٍ أخرى قربَ إستانبولَ.

في القلعةِ الحاديةَ عشرةَ أُسِرَ مرةً أُخرى، وأُخِذَ إلى بيزنطةَ، ووُضِعَ في ذلكَ السجنِ.

هذه المرةَ كان بطَّالٌ قد أَوْقَعَ نفسهُ في الأسرِ عن قصدٍ! لأنَّهُ كانَ يريدُ أن يخلصَ حارسَ السجنِ، ويقتلَ القائدَ البيزنطيَّ (باراديسَ).

فرحَ بطَّالٌ لما رأى حارسَ السجنِ على رأسِ عملهِ.

تعانقا، وتحادثا، واتفقا على الخطةِ الجديدةِ!

خرجا في منتصفِ الليلِ سوياً، وذهبا إلى قصرِ القائدِ البيزنطيِّ (باراديسَ).

عرَّفَ حارسُ السجنِ بنفسهِ، فَفُتِحَ لهُ البابُ!

دخلَ بطَّالٌ، وقضى على باراديسَ وعلى كلِّ منْ حولَهُ.

وسام الجهاد

بعدَ أنْ أنهى بطَّالٌ هذه المهمةَ، هربَ هو وحارسُ السجنِ سوياً، وخرجا إلى الأناضولِ قبلَ أن يُقْبَضَ عليهما!

وَجَدَ كلٌّ واحدٍ حصاناً، فركبا، ووصلا إلى معسكرِ المسلمينَ كأنهما يطيران!

فرحَ الجنودُ جميعُهُمْ بعودةِ بَطَّالٍ!

وقَدَّمَ أصدقاؤهُ وقادَتُهُ له التهنئةَ، وباركوا لَهُ!

وعندما أمسى ذهب إلى القائدِ العام.

الذي قلَّدَ بطَّالاً وسامَ (الغازي المجاهِد).

وأعطى المسلم الجديدَ حارس السجنِ وِسَامَ (قائدَ كتيبة).

وَاشْتُهِرَ بطَّالٌ بعدَ ذلكَ اليومِ في الأناضولِ كُلِّهَا بِلَقَبِ (بطَّالٌ المجاهدُ)!